المفارقة في خطب نهج البلاغة

تنوع التشكيل وفاعلية الخطاب

م. م. خـــــالدة علي فليح

مقدمة البحث :

لم تستعمل المدونة العربية القديمة مصطلح ((المفارقة)) مثلما هو في النقد العربي المعاصر، بل استعملت مصطلحات أخر مرادفة لهذا المصطلح ، ولا سيما في المدونة العربية البديعية ومن هذه المصطلحات المرادفة مصطلح : (الطباق ، التضاد ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، والتندر ، وسوق المعلوم مساق المجهول)، وهذه المصطلحات البديعية يمكن أن تقوم مقام المفارقة بوصفها الحديث ، ولكن بشكل مبسط قد لا يرقى إلى مستوى الفهم المعاصر الذي وضعه النقاد المحدثون لمصطلح المفارقة . وبعد ظهور الرغبة في البحث عن كسر حواجز أفق التوقع التي تحملها النصوص الادبية ، ولا سيما النصوص الإبداعية الراقية التي تحمل دلالات أو محمولات فكرية واسعة تنبئ عن قدرة مبدعها ، فمثل هذه النصوص سوف تستفز القارئ وتضعه أمام موقف يجب أن يكون مستعدا فيه لتقبل تحريك سكونه ووضع مدركاته الحسية موضع التهيؤ للبحث عمّا تحمله تلك النصوص من قيم ابداعية يُصبح معها القارئ منشئا جديدا يعيد انتاج النصوص مرة ثانية .

ومِمّا لا شك فيه أنَّ النصوص التي تحمل المفارقة سوف تكون نصوصا ذات سعة فكرية ودلالية تتجاوز المعنى اللغوي لتلك النصوص ، هذا الوصف ينطبق على النصوص العادية ، فما ظنك بنصوص مثل نصوص نهج البلاغة يقف خلفها مبدع مثل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ؟، وهي نصوص لم تكن غايتها الترف الفكري آنذاك بل كانت ذات غايات كثيرة منها تربوي ، ومنها تعليمي، ومنها فقهي ، ومنها اجتماعي . وهذا يعني - بلا شك - أن هذه النصوص ستكون مجالا رحبا لتلمس مظاهر ((المفارقة)) ، وذلك من خلال البحث في تنوع التشكيل و فاعلية الخطاب الذي تنتجه تلك النصوص . ونقصد بالتشكيل هو طرائق بناء المفارقة في تلك النصوص ، وأما فاعلية الخطاب فنقصد به، هو ذلك الأثر الذي يتركه النص الأدبي في المخاطب بوصفه متلقيا ناجحا ثم كيفية تقبل ذلك الخطاب من جهة المخاطب نفسه .. ولابد من الوصول إلى ذلك من خلال فاعلية الخطاب الذي انتجته تلك البنية الموجهة إلى المخاطب بوصفه مشاركا فعالا في إعادة انتاج ذلك الخطاب الأدبي الموجه توجيها دلاليا خاصا يقع ضمن دائرة القصدية التي يريدها منشئ الخطاب في ضوء دائرة التلقي التي يقع فيها كل من : (المنشئ ، والمتلقي ، والخطاب الموجه) .وبذلك تصبح المفارقة أداة أسلوبية فعالة بيد المنشئ يفتح أفق القراءة والتلقي عند القارئ ، وتنتقل من صياغة لغوية مبسطة إلى معان ودلالات أخرى تستنبط من خلال نقل المعنى من الوضع اللغوي إلى وضع أوسع وأرحب بسبب تشابك العلاقات اللغوية والاسلوبية في بنية المفارقة في خطب الإمام علي (عليه السلام) . وما يجب أن يشار إليه هنا أنَّ كثيرا من الباحثين المعاصرين من أمثال :الدكتور محمد العبد في كتابـه :(المفارقة

في القرآن الكريم)، والدكتورة نبيلة ابراهيم في بحثها (المفارقة) ، وسيزا قاسم في بحثها (المفارقة في القص العربي المعاصر). ولقد ذكر بعض الدارسين القدماء في هذا الموضع أن التهكم والسخرية هما من أغراض الاسلوب المفارق عندهم آنذاك، غير أنَّ الدارس لنصوص نهج البلاغة سوف يجد بوضوح تجنب الإمام علي (عليه السلام) هذا النوع من الخطاب الموجه لترفعه (عليه السلام) عن الأسلوب الساخر ، ويستبدله خطابا آخر يناسب مقتضى حال المخاطب ، ليعبر به عن الموقف المراد ، وهو ميله إلى الشكوى والتذمر في بيان مواطن الخلل والفساد في سلوك الإنسان آنذاك ، أو بيان أثر الفعل من خلاله أحيانا أو من خلال نقيضه.

أولا : المفهوم :

عرفت البلاغة العربية ضروبا من فنون القول ذات وجهة مفارقية بوصفها تعتمد على قيام علاقات بين مبانيها اللفظية يمكن أن نلمح فيها آثار المفارقة ومقاصدها ، ومن تلك الفنون البلاغية : فن التضاد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف، وسوق المعلوم مساق المجهول ، والتندر أو السخرية.

ومما لا شك فيه أن مصطلح المفارقة بمعناه المعاصر قد يختلف عن معاني تلك الفنون ،لأنها تعبر عن المفارقة بمعناها البسيط بما يساعد المتكلم العربي أن يوصله للمخاطب آنذاك وطبعا لكل من هذه الفنون معناه ، وتعريفه الخاص به .ولعل الجامع بينها ، هو أن المنطوق به سوف ((يرمي إلى معنى آخر ، يحدده الموقف التبليغي ، وهو معنى مناقض عادة للمعنى المعرفي الحرفي)) (١) . وبناء على ذلك فالمفارقة هي بنية لغوية تتجاوز الإطار اللساني البسيط للجملة الواحدة ، فتتعداه إلى النص الكامل (٢) .

ومن ذلك نفهم أن الدراسات البلاغية القديمة ، لا سيما البديعية قد عرفت شيئا عن المفارقة اللفظية بصورتها البسيطة القائمة على مفهوم التضاد بين المعنى اللغوي والمعنى الجديد الذي يقصده المتكلم ٠ ولم ترد المفارقة في البحث البديعي القديم بوصفها فنا مستقلا بذاته بل ورد منضويا في فنون (بديعية) مثل : فن التهكم ، الذي يقصد به ((الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء))(٣)

ومما استدلوا به في هذا الموضع ، هو قوله (تعالى) على لسان المشركين ((أهذا الذي بعث الله رسولا)) الانعام /٤١ .فالعبارة القرآنية هنا ، قد أدت المعنى المراد، ولكن بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي قد نلمح فيه تهمكا أو سخرية ، ولعله أراد أن يظهر مدى تمادي المشركين في استهزائهم بالرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورغبتهم الشديدة في إيذائه .

ومن أجل ذلك كانت المفارقة أداة أسلوبية فعالة للتهكم والاستهزاء ، ويخرج عن ذلك الاستهزاء الذي تخلو صياغته اللغوية من مفارقة اللفظ للمعنى ، بل يرد إلى أدوات لغوية أسلوبية أخرى ، ولا ريب أن عامل التهكم والسخرية من العوامل التي تؤدي إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى الضد في كثير من الأحيان (٤)٠

ويفرق بعض النقاد القدامى من أمثال أبي هلال العسكري (ت ٤٠٠ هـ) بين السخرية والاستهزاء . فالاستهزاء يكون من إنسان لم يصدر منه أي فعل يستحق أن يُستهزأ به ٠ والسخرية تدل على فعل يسبق من الإنسان المسخور منه (٥) .

أمّا التهكم ، فهو الخطاب الذي يأتي بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد ، والعذر في موضع اللوم، والمدح في موضع السخرية (٦) .

ومن وجوه المفارقة عند النقاد العرب القدماء (فن التعريض) ، الذي قال عنه ابن رشيق القيراوني (ت ٤٥٦ هـ) : ((من أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل : ((ذق إنك أنت العزيز الحكيم)) . أي : الذي كان يقال له هذا ، أو يقوله ، وهو أبو جهل ، لأنه قال : ما بين جبليها . يعني مكة . أعز مني ولا أكرم)) (٧) . ومن ذلك أيضا (التعريض) ، الذي يقصد به : ((اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجازي)) (٨) .

ومثاله ما ذكره ابن الأثير في قوله تعالى : ((قالوا : أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)) قال ((بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون)) الأنبياء(٦٢ ـ ٦٥) .

فالنبي إبراهيم (عليه السلام) كان غرضه من هذا التعريض هو أن يقيم عليهم الحجة ، لأنه قال : ((فاسألوهم إن كانوا ينطقون))، ولعله أراد من ذلك الخطاب أن يستهزأ بهم لأنهم يعبدون ما لا ينطق ولا يعي .

وهذا المفهوم يقترب من مفهوم المفارقة ، حيث لا مفارقة إن لم يدرك المتلقي أبعادها ، ويفك رموزها (٩) .

ومن مظاهرها الأخرى ، فن التورية ، وتسمى ((الإيهام والتخيل والمغالطة والتوجيه ، وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين ، قريب ، وبعيد ، ويريد المعنى البعيد ، يوهم السامع أنه أراد القريب)) (١٠) .

ومثاله ، قوله تعالى : ((والنجم والشجر يسجدان)) ، فالسيوطي يرى أن الله (تعالى) أراد بالنجم : النبات الذي لا ساق له ، والسامع يتوهم أنه (تعالى) أراد به الكوكب مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر (١١) .

ومن مظاهر المفارقة في التراث النقدي العربي القديم : ((الاستعارة)) ، وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه به ، كما تقول في الحمام أسد وانت تريد به الشجاع ، مدعيا أنه من جنس الأسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر . أو كما تقول : إن المنية أنشبت أظفارها ، وأنت تريد بالمنية ، السبع بادعاء السبعية لها ، وإنكار أن تكون شيئا غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار)) (١٢) وهذا التضاد يقدم للقارئ نوعا جديدا من الكشف الذي يسلط الضوء على طرفي التناقض الذي قدمه التضاد في تلك الفنون ، ويتجلى كل منهما في أكمل صورة (١٣)٠

وبناء على ذلك تبدو المفارقة نوعا من التضاد ، بين المعنى المباشر المنطوق والمعنى غير المباشر ٠ ويتخصص هذا المفهوم قليلا في المفارقة الدرامية ، حيث تنطق الشخصية المسرحية بشيء له عندها وعند الشخصية الأخرى التي تخاطبها معنى ما ، ولكن هذا الشيء الذي تنطق به ، له عند النُظارة معنى مختلف تماما ٠ فضلا عن ذلك فإن التضاد الذي نتحدث عنه يلحظه القارئ أو المخاطب من خلال السياق الراهن ، وأما الناقد (ريتشاردز) ، فيرى بأنها توازن الأضداد ، والأكثر من ذلك فإن المفارقة (كما يرى بعض النقاد الغربيين) ، هي نوع من الدلالة المحولة في مقابل الدلالة الأولية ٠ أي

انها تصوير آخر يومئ إلى المعنى العكسي ، ومن أجل ذلك يترجم . أو يحول . إلى ضده ، فتقويم السلبيات مثلا، يلمح . في ظاهره . إلى الضد الإيجابي (١٤) .

فالأساس الذي تبنى عليه المفارقة كما يرى : (محمد العبد) ، هو مفارقة التعبير المنطوق للمعنى المقصود ، الذي يحتمه السياق اللغوي ، أو الموقف التبليغي الراهن ، ويحدده . فمن أجل ذلك فإن المفارقة اللغوية تكشف عن أمرين :

الأول : عنصر الاختفاء ، والثاني : هو حقيقة كون العنصر المتخفي في المنطوق ، هو المقصود اظهاره من قبل المتكلم (١٥) .

أما محددات المفارقة على وفق ما تراه الدكتورة نبيلة ابراهيم ، فهي :

(أولا) :

وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد : المستوى السطحي ، المباشر للكلام ، على نحو ما يعبر به ،والمستوى الكامن ، الذي لم يعبر به ، والذي يلح القارئ على اكتشافه .

(ثانيا) :

لا يتم الوصول إلى ادراك المفارقة إلا من خلال ادراك التعارض أو التناقض على المستوى الشكلي للنص .

(ثالثا) :

لا بد من وجود ضحية في المفارقة (١٦). .

ولم يرد ذكر المفارقة بهذا الاصطلاح (كما يرى محمد العبد) في المصادر العربية القديمة سواء أكانت لغوية أو بلاغية سوى بعض المباحث اليسيرة التي تقع تحت مصطلح (التهكم) (١٧)

ولكن ذلك لا يعني أن العرب القدماء لم يعرفوا أو يدركوا هذا النوع من التعبير، ولا سيما في مقاصده التي تقع اليوم تحت مصطلح (المفارقة).

وتعرف نبيلة ابراهيم المفارقة بأنـها ((لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين صانع المفارقة وقارئها ، بطريقة تستثير القارئ ، وتدعوه لرفضه بمعناه الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الضد)) (١٨) ٠

أما الناقد محمد العبد فقد عرفها بأنها ((صيغة من التعبير، تفترض مـن المخاطب ازدواجية الاستماع ، بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يكمن فيه مـن ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه يدرك أن هذا المنطوق . في هذا السياق بالذات . لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحية)) (١٩) ٠ وفي التراث الغربي تحتل (المفارقة) مساحة واسعة مـن عناية النقاد والفلاسفة الغربيين بدءا بأرسطو الذي يرى أنها استعمالا مراوغا للغة ، وهي شكل من أشكال البلاغة ، يقصد منها إضافة نوع من التحسين والبهرجة على النص (٢٠) . وفي بداية القرن التاسع عشر كان لها حضور في النص الشعري وعالم الأدب ، فاكتسبت (المفارقة) معان جديدة بجانب المعاني القديمة ، وهذه المعاني الجديدة هي مزيج من التأملات الجمالية والفلسفية (٢١) ٠

ويعرفها دي سي ميو يك بأنها ((صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد ، وهي أبلغ أثرا بسبب أسلوبها غير المباشر، لذلك يتطلب ادراكها ذكاء أو حسا مرهفا)) (٢٢) وقد يكون ميو يك أكثر أقرانه من النقاد فهما للمفارقة ، فهو لم يحصر المعنى المراد بدلالة واحدة فهي عنده قول شيء بطريقة لا تستثير تفسيرا واحدا ، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغايرة (٢٣)٠

وهي عند (بارت) كل شيء يفارق الرأي والظن ، ويسير ضدهما (٢٤) ٠

وبذلك يمكن القول ، إن المفارقة هي تقنية أسلوبية تعتمد وسائل متعددة منها ما هو لفظي، أو تعبيري أو تصويري أو إيقاعي للكشف عن دلالات غير معهودة بشكل مباشر في النص يقوم المتلقي باكتشافها عبر مظاهر التضاد بين معنيين الاول مباشر والاخر غير مباشر، بواسطة مجموعة من الشفرات والإحالات المرجعية المشتركة ما بين المنشئ والمتلقي ٠

وكلما كان النص ابداعيا صارت المفارقة فيه مظهرا ابداعيا يثير دهشة المتلقي وتستفزه من خلال مدلولها الكامن في الداخل ٠

ومما مر بنا يمكن أن نرى بعضا من صفات (المفارقة) ، بوصفها فنا قوامه الأساس ثلاثة أقطاب هي : (المرسل ، المتلقي ، الشفرة التي يحملها الخطاب) ، و ينتج عن ذلك نوعان من المعاني ، الأول : المعنى الخفي الذي يبحث عنه المتلقي من خلال الشفرة الخطابية ، وهو المقصود الذي يتوخاه المرسل ، والثاني : هو المعنى الظاهري (السطحي) ، وهو ليس الذي يقصده المرسل لكنه ضروريا لاكتمال عملية التخاطب ٠

إن وجود صفة التضاد أو التنافر في نص (المفارقة) لا يخرج عن كونها قدرة عقلية ينماز بها المرسل، لذا فإن بعض الفنون البلاغية كالتورية والإستعارة والتشبيه لا يمكن أن تكون مصداقا لها إلا إذا كانت تحمل هذه الصفة ، وإلا ستبقى فنونا بلاغية تشتغل خـــارج مفهوم (المفارقة) .

بمعنى أن ليس كل نص يحمل هذه الفنون يعني بالضرورة هو نص (مفارق) ٠لأن للمفارقة صفاتها وشروطها مثلما مر بنا ٠

ومن أجل ذلك تتعدد صور المفارقة ووظائفها ؛ فقد تكون سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق ، يشف عما وراء هزيمة الانسان ٠ وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب ،وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الانسان الضحية لنرى ما فيه من متناقضات، وتضاربات تثير الضحك كما تـــرى(نبيلة ابراهيم) (٢٥) ٠

وخلاصة القول أن المفارقة . عند بعض الكتاب . تعد اختبارا لمهارة القراءة في قراءة ما بين السطور ولعل مرد ذلك يعود إلى طبيعة المفارقة ذاتها بوصفها لعبة الفكر ، والصلابة ، والبراعة ، وسرعة الخاطر مثلما أشارت بذلك المدونة الغربية المعاصرة (٢٦) ٠

ثانيا : الفاعلية

مما لا شك فيه أن النص الأدبي الذي يحمل طاقات تعبيرية عالية ، سوف يسهم مساهمة فعالة في عملية الاتصال بين المرسل والمتلقي ، فيتحول الفهم والإفهام بين الطرفين إلى عملية ليست سلبية ، بمعنى أن المنطوق سوف يخرج من الحقل اللغوي المباشر إلى الحقل الدلالي غير المباشر ٠

وهذا يتوقف على قدرة المرسل والمتلقي على التواصل فيما بينهما من خلال عملية الانتاج الدلالي بين الطرفين ٠ فالطرف الأول (المرسل) يجب أن يكون قادرا على انتاج نص يعبر عن الموقف المقصود ، وعن الدلالة المنشودة من خلال علاقات لغوية منتجة ٠ والطرف الثاني (المتلقي) ، الذي يجب عليه . هو الآخر . أن يتلقى النص بقدرة ؛ فيشارك في عملية انتاجه من جديد ٠ومن هنا قد يجوز لنا القول ،أن (المفارقة) تسهم في تلك العملية لأنها جزء لا يتجزأ من عملية انتاج الخطاب

وفاعليته . لذا فإن ((الطاقة التعبيرية التي نشعر بها مع المفارقة ، تنطلق من جعلها (المفارقة) ، أعظم اسهاما في عملية الاتصال ، من مجرد الفهم السلبي . والمستمع هنا ، يجد لديه ما يفعله حين يربط نفسه بالآخر ، بما عنده من محتوى دلالي ، يود أن يقيم اتصالا . كيف لا يكون ذلك كله والمستمع مطالب بأن يفقه السياق ، ويقف على الدور الذي يلعبه في انتا ج المنطوقات المفارقية وفهمها . إنه مطالب بأن يتوصل إلى معنى المنطوق ، بالمرور من خلال معنى الجملة ، ثم أنه يعود عودة مزدوجة إلى نقيض معنى الجملة ، لكي يعيد للمنطوق الحرفي ملاءمته للموقف)) (٢٧)

ولعل النص الذي يكون مصداقا للمفارقة هو الذي يحمل أمرين ، هما ((المعنى والتأويل ، فمعنى أي عنصر في العمل الأدبي ، هو امكانية دخوله في علاقة متبادلة مع عناصر أخرى في العمل نفسه ، ومع الكل بصفة عامة ،وعلى هذا فإن معنى أي صورة يتمثل في تعارضها مع صورة أخرى ، أو في كونها أشد كثافة منها بقليل أو كثير .، وكل عنصر في العمل الأدبي له معنى ما أو أكثر بهذا المفهوم ، إلا إذا كان عملا عاجزا ، ومهما تعددت معانيه ؛ فإن من الممكن رصدها من هذا المنظور ، وهذا على عكس ما يحدث في التأويل ؛ إذ إن تأويل عنصر ما من العمل الأدبي يتوقف على شخصية الناقد وعلى عصره وموقفه الأيدولوجي ، إلا أنه ينبغي أن يتضح الفرق بين المعنى والتأويل ؛ فالمعنى هو مناط البنية الأدبية ، ويتصل أساسا بالأجناس الأدبية وخواصها القائمة ، والمحتملة على جميع المستويات ، أما التأويل فهو يتصل بالنقد الأدبي ، وينصب على عمل محدد يندمج فيه الناقد ، ويتمثله حتى يتحول إلى خالقه الثاني(٢٨) .

ولعل في ذلك ما يساعدنا أو يقودنا إلى القول ((بأن المفارقة ـ وإن د نت من الإطار الدلالي العام الذي تندرج فيه هذه التعبيرات : كناية ، واستعارة ، وتمثيلا ، من حيث الاتساع والمجاز والإضراب عن المعنى المباشر ووجوب الاستدلال في ذلك كله ـ أنـــها لا تعني لازم اللفظ ، على نحو ما نجد في : نؤوم الضحى وغيرها ، أنها تخرج على ظاهر التعبير إلى ما يناقض ذلك الظاهر بإفادة السياق)) (٢٩) .

وبذلك يكون الخطاب المفارق هو انحراف لغوي يخلق للقارئ دلالات عديدة يتحرك من خلالها عبارة تبدو متناقضة في ظاهرها ، غير أنها تبدو بعد الفحص والتأمل ذات حظ لا بأس به من الحقيقة ، لأنّ هذا التناقض الظاهري يوهم المتلقي بمواجهة موقف غير متسق ، مما يدعوه إلى إمعان النظر فيه ليكتشف عالم جديد قائم على قيم جديدة تناقض وتفارق قيم عالمه العيني المعاش ، فهي رحلة فنية جمالية تجعل من صانعها ومتلقيها في بحر الصيغة اللغوية عبر فضاء نصي متماسك تقدم فيه للمبدع ما يعينه على الانفلات والخروج من دائرة المباشرة في الخطاب والبساطة إلى فضاء أوسع وأرحب جديد كله شفافية وضبابية جمالية (٣٠) .

وبذلك يصبح النص ذا معنى جديد ، له قابلية التأثير على المتلقي بفاعلية جديدة لم تكن موجودة في المعنى المباشر له ،ويصبح القارئ مبدعا جديدا للنص المفارق ، بفعل تلك الفاعلية التي تكمن فيه ، وبذلك سوف يحقق النص المفارق من خلال تلك الفاعلية أهدافا جديدة هـي ((مباغتة القارئ لإثارة انتباهه ، وتحفيزه على التأمل ، وتنشيط فكرة في موضوع المـــفارقة ، ثم منحه حسا اكتشافيا ، يظهر في نطاقه العلاقات الخفية التي تحكمت في النص، ومن ثم منعه من الانفعال السريع المباشر)) (٣١).

ولاشك أن الخطاب أيا كان نوعه لا تقوم له قائمة إلا إذا حقق وصالا بين المبدع والمتلقي وحدث بينهما تفاعل جمالي ، والفطرة السليمة لا تقبل على الاشياء إلا إذا أخذها جمالها أخذا وشغفها حبا ، وعليه فالخطاب يولد مرتين ، في الأولى على يد مبدعه ، وفي الثانية على القارئ (المتلقي) ، إذ أن المشاركة الفاعلة للقارئ تعيد الحياة للخطاب وتبعثه من جديد على أساس أنه كتب ليقرأ ، ومادام القراء يتفاوتون في فهم دلالة النص ، فسنكون حينئذ أمام أفق رحب لإنتاج نصوص أخرى جديدة (٣٢).

وتبدو فاعلية الخطاب المفارق في أشكال ثلاثة هي:

الأول : في عنوان الخطاب المفارق ، إذ يسعى المبدع دائما إلى وضع عنوان ذي دلالات متنافرة بين عناصره اللغوية ، باعتباره سؤالا اشكاليا ، سوف يحاول النص بأكمله الإجابة عنه ، فيعلن عن طبيعة النص ، ثم يعلن عن نوع القراءة التي يتطلبها النص .

الثاني : أن تكون المفارقة جزءا من النص وعلاقاته اللغوية الداخلية ، بمعنى أن الخطاب حتى يكون فاعليا سوف يتكأ على المفارقة ، والقارئ هو الذي يسعى للكشف عن تلك العلاقات بمعناها الجديد .

الثالث : أن تكون المفارقة نصا كاملا ، وبذلك يجد القارئ نفسه أمام نص تحكمت (المفارقة) في بنيته كليا ، بكل أنواعها ، وأشكالها (٣٣) .

ولقد شاع عن المفارقة أنها تقنية المراوغة في الخطاب الأدبي ، ولذلك جاءت أهمية دراستها من كونها كذلك ((أنها في النصوص الأدبية ليست صيغة بلاغية فحسب بل هي كذلك موقف تتخذه الذات من الحياة ، ولغة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي ، وبهذا تكون المفارقة أكثر من مجرد

تقنية للمراوغة ، وهو المعنى الذي شاع عنها))(٣٤).

ولا بد من الاهتمام بالقارئ في توجيه فاعلية الخطاب ، وخصوصا في النصوص الكبيرة ، المتعالية ، مثل نصوص (خطاب) ، أمير المؤمنين ،علي بن أبي طالب ، (عليه السلام) ، في نهج البلاغة ، فهو (عليه السلام) يعير اهتماما للمخاطب، ولا سيما سامعيه ، فضلا عن اهتمامه بظروف الخطاب التي انتجته ،وهذا يأتي من قبيل اهتمام الكاتب بالقارئ أو المتكلم بمستمعيه . ((فقد صحب الاهتمام بالقراء تنويع علاقة الكتاب بهم ، وأصبح هذا التنويع نوعا من حسن الشمائل العامة ،وكان لهذه الظاهرة أثرها في تكون الأفكار والمشاعر والمقاصد جميعا)) (٣٥) .

فأحيانا توجب ظروف الخطاب على المتكلم ضربا خاصا من التعبير ، فقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، بعد انصرافه من صفين في حربه مع معاوية بن أبي سفيان :

((**والناسُ في فتن ، انجذم فيها حبلُ الدين وتزعزت سواريُ اليقين ، واختلف النَّجْـرُ، وتشتَّـت الأمرُ ، وعمِيَ المصدرُ ، فالهدى خاملٌ ، والعمى شاملٌ ، عُصيَ الرحمنُ ، ونُصرَ الشيطانُ ، وخُذلُ الإيمانُ ، فانهارتْ دعائمُهُ ، وتنكرتْ معالمُهُ، ودرستْ سبُلُه ، وعفتْ شرُكُهُ ،أطاعوا الشيطانَ فسلكوا مسالكَه ، ووردوا مناهلَـه ، بهم سارتْ أعلامُه ، وقام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها ، وقامت على سنابكها ، فهم فيها تائهون ،حائرون حائرون ، جاهلون مفتونون ، في خير دار شر ، وشر جيران ، نومهم سُهُود ، وكحلُهم دموعٌ بأرض عالمُها** مُلجَمٌ ، **وجاهلها** مُكرَّمٌ)) (٣٦) .

فالإمام يشير إشارة مفارقية إلى طبيعة سلوك الناس في العصر الجاهلي الذي كان منافيا للسلوك القويم

على الرغم من قيامهم بجوار الكعبة المشرفة وفي مكة الكرمة التي شرفها الله تعالى ببيته العتيق ،وهنا تأتي المفارقة السلوكية عند الناس ((فخير دار هي مكة المكرمة ، وشر الجيران عبدة الأوثان ، وقوله : نومهم سهود ، وكحلهم دموع ، بأرض عالمها ملجم ، وجاهلها مكرم ، كما تقول : فلان جـوده بخل وأمنه مخافة ، فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر ، والكحل بالدمع ، والعالم ملجم لأنه إذا قال حقا ، والجمهور على باطل لانتاشوه ونهشوه والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم، فمنزلته عندهم منزلة أوهامهم ، وعاداتهم ، وهي في المقام الاعلى من نفوسهم)) (٣٧) .

فهو (عليه السلام) يصف حال الناس في الجاهلية، بصفات هي غاية في المفارقة ليكشف (عليه السلام) من خلال ذلك مدى التباعد بين سلوكين متضادين، سلوك قديم قد استحكم من الناس في العصر الجاهلي ، وبين سلوك جديد يقود الـرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). فهو (عليه السلام) ، يقدم لنا نصا يتمثل في مفارقة المعنى للمعنى بما في كلامه من معان لا يمكن حملها على التعبير الذي يؤدي للفهم المباشر للنص ، بما نراه فيه من كنايات واستعارات وتشبيهات .

ويساير هذا التعبير ما يراه عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١) في نظرية المعنى فقد جعل الكلام على ضربين : المعنى ، ومعنى المعنى ، فالمعنى عنده هو الذي تصل إليه بغير واسطة. وأما معنى المعنى ، فـــهو الذي أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر (٣٨) .

ولعله من المناسب هنا الربط بين ما يراه عبد القاهر الجرجاني ، وبين ما يراه أصحاب نظرية الحدث الكلامي ، حين يبحثون في المعنى المباشر والمعنى

الاستعاري والمعنى المفارقي والحدث الكلامي ، ويظهرون ما بينهما من فرروق أو تشابهات (٣٩).

وحتى يستطيع المتكلم إقامة اتصال مع مستمعيه لا بد أن يلجأ إلى منطوقات استعارية أو منطوقات مفارقية أو أحداثا كلامية غير مباشرة ، فلا بد من توفر بعض المبادئ ، تبعا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقوله ، أو يعني شيئا مختلفا عما يقوله ، وهي مبادئ معروفة لدى المستمع الذي يستطيع ـ مستعملا معرفته . فهم ما يعنيه المتكلم (٤٠) .

وهنا يتشابه التعبير الاستعاري والكنائي مع التعبير المفارقي ، في ((الانتقال من الآلية و الحرفية والمباشرة إلى الحركية والتعبيرية ، وشد عرى الخطاب ، إن المفارقة ومعها التعبيرات الأخرى غير المباشرة ، تعد حالة خاصة من اشكالية عامة ، عن تفسير كيفية انفراد معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة))(٤١) .

فالإمام علي (عليه السلام) ،قد انتقل بالمعاني من المنطوق الحرفي ، المباشر إلى المنطوق غير الحرفي ، غير المباشر. وتأتي مفارقة النص هنا في قوله (عليه السلام) ، قبل أن يشير إلى وصف حال الناس في الجاهلية آنف الذكر بقوله (عليه السلام) ، في وصف حال الناس بعد بعثة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ يقول :

((وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور ، والعَلَم المأثور ، والكتاب المسطور ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، والأمر الصادع ، إزاحةً للشبهات ، واحتجاجا بالبينات ، وتحذيرا بالآيات ، وتخويفا بالمَثُلات ، والناس في فتن .....)) (٤٢) .

فهو(عليه السلام) يدرك بدقة الفرق بين الحالتين ، فالإنسان في الجاهلية تائه ، حائر، يعيش في فتنة عمياء ، انقطعت فيها حبال الدين ، ولم يعد في يديه منها ما يتمسك به ، وعصي الرحمن ، ونصر الشيطان ، وخذل الإيمان . ومن أجل أن يوسع (عليه السلام) دائرة الوصف ، ويشرك المستمع بتلك الدائرة ، أخذت تتوالى في كلامه الاستعارات والكنايات فيما أسنده للشيطان من صفات جعلته يقود الناس وكأنه اميرهم . وكذلك فيما أسنده للفتن مـــن صفات ، وتشخيصه لها .

لقد جاور(عليه السلام) بين ثنائيتين ضديتين ، تحملان معنيين مفارقيين هما : الدين واللا ادين ، والنور الساطع والضياء اللامع ، و الظلام الذي وقع فيه الجاهليون ، والأمر الصادع الذي لا شبهة فيه ، والفتنة التي تزعزعت فيها أعمدة اليقين عند الإنسان الجاهلي ، و طاعة الرحمن وعصيانه (تعالى) وإطاعة الشيطان ، حيث أن الإنسان في الجاهلية ينحني انحناء تاما أمام الشيطان ، وينقاد له انقيادا لا مثيل له ، والإنسان في الإسلام هو عبد لله (تعالى) يحمل رسالته ، ويدافع عنها تحذيرا وتخويفا ..

ويبدو واضحا أنه (عليه السلام) ، قد عالج ذلك الأمر معالجة فكرية في صياغة فنية جمع فيها بين رؤيتين متناقضتين ، هما الإسلام والجاهلية ، وهذا الجمع بحد ذاته هو ((المفارقة بوصفها نوعا من النقيضة أو تجاور بين وجهتي نظر مختلفتين متعارضتين)) (٤٣) .

والمفارقة هي ضرب من التأنق من الناحية الأسلوبية ، وهدفها الأول كما يقول (ماكس بيريوم) : ((احداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرا ، وصاحب المفارقة المتمرس يستعمل من الإشارات أقلها)) (٤٤) .

على نحو ما نرى في وصفه (عليه السلام) في خطبته الشهيرة لسير الخلافة منذ عهد الخليفة الأول ،(أبي بكر) ثم الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) ، فالخليفة الثالث (عثمان بن عفان) ، إذ يتظلم فيها من الغبن الذي لحقه في صرفه عن الخلافة بعد ما كان المهيأ ، الأكفأ لها ، ثم يشير إلى الأسلوب المصطنع في ترشيح الستة للخلافة من قبل الخليفة الثاني ، وكيف أنه كان المقصود من ذلك ، أن يصل عثمان إلى الخلافة ، ثم ما انتهت إليه حال المسلمين في عهد الخليفة الثالث من تسلط أسرته على المسلمين ، يأكلون أموالهم ، ويظلمون خيارهم ، ثم ما آل إليه بعد ذلك من ثورة عارمة انتهت بمقتل الخليفة نفسه ، وانقلاب الجماهير إلـي الإمام (عليه السلام) لمبايعته بالخلافة (٤٥) .

والمفارقة هنا يمكن أن تكون في كونه (عليه السلام) هو الأكفأ لتسنم منصب الخلافة بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى الرغم من تلك الكفاءة ، فقد صرفت الخلافة عنه إلى غيره ، وإلى ذلك الموقف المفارق أشار (عليه السلام) ، بقوله :

((أما والله لقد تقمصها فلان ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير ... فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها .... حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشّورى متى اعترض بي الريبُ فيِّ مع الأول منهم حتى صرتُ أُ قرن إلى هذه النظائر))(٤٦) .

لقد عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) بدقة عن استلاب الخلافة منـــه منذ اليوم الأول بتعبير شعري بقوله : (تقمصها فلان) ، كناية عن الخليفة الأول ، ثم توالت الكنايات بعد ذلك مثل : (

وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى) ، وقوله : (ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير) ، كل ذلك ((تمثيل لسمو قدره (كرم الله وجهه) وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ، ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه ما شاء الله ، وعلى ذلك ، قوله : ولا يرقى إليَّ الطير ... الخ ، غير أنَّ الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرقعة)) (٤٧) .

وهنا ينصهر مفهوما (الرؤية والمفارقة) في بوتقة شعرية واحدة ، حيث أن صلة النص ـ لا سيما إذا كان النص شعريا ، أي أنه يحمل مواصفات الشعرية ، بغض النظر عن كونه نثرا أو شعرا ـ بالعالم ليست صلة منطقية ـ بل صلة الدهشة والافتتان اللذين يعصفان بالقلب والروح معا ، فالرؤية في الشعرية هي النفاذ الحاد إلى ما تخبئه المرئيات وراءها من معان وأشكال ليقتنصها ويكشف نقاب الحسن عنها ، وبذلك يفتح عيونا على ما في الأشياء المرئية من روعة وفن (٤٨) .

والإمام علي (عليه السلام) ، على الرغم من قبوله لذلك الواقع السياسي ؛ فقد عبر عن رفضه له، ولما نتج عنه ، فهو عنده قبول مرغم عليه ، لم يأت باختيار منه أو عن رضا ، وفي ذلك يقول في الخطبة نفسها : ((فسدلتُ دونها ثوبا ، وطويتُ عنها كشحا ....)) وهو يقصد بذلك (الخلافة) ، ويمكن أن نعد رؤيا الرفض ـ لا سيما فيما تحمل من تضاد ـ مظهرا من مظاهر المفارقة ، وذلك إذا تبين لنا أنها تحمل دلا لتين ، الأولى : القبول في مسايرة الواقع المفروض ، والثانية : الرفض.

وعليه فإن رؤية الرفض في ظاهرها تدل على الإنكار والاستهجان ، وفي حقيقتها عملية دفاعية أصيلة تجاه الواقع الخارجي ، ومفهوم ايجابي يستند

إلى عدم الاستسلام لقيم المجتمع السائدة أو لبعضها على الأقل ، وبالتالي فإن الرافض يرفض أن يتنازل عن نفسه ، وهي رؤية جدلية تتضمن في طبيعتها مفارقة ، جوهرها الانفصال والاغتراب ، وفي باطنها البحث عن الذات (٤٩) .

ويمكن أن يكون النص السابق الذي مثلته خطبة الإمام علي (عليه السلام) . التي تحدث فيها عن الخلافة . يحمل في طياته ثنائيتي : القبول والرفض معا ، ولقد جسد ذلك كله من خلال احساسه العميق بالواقع المعاش من حوله ، ونهوضه بالأمر بعد ذلك . إذ لـــم يستطع (عليه السلام) أن يعيش بعيدا عن أحداث عصره ،أو يحبس نفسه في عالمه الخاص ، فقد أحس واقعه احساسا عميقا حتى تسامى فوق كل شيء فيه ، وظل يطمح إلى تغييره نحو الكمال .

في الصور المتقابلة المتضادة نلمس (المفارقة) ، لا سيما في نظرة الإمام علي (عليه السلام) للحياة ، وتقلب أحوالها ، إذ تشكل لديه مفارقة مؤلمة وذلك حين يعجز الانسان ذاته عن تجاوزها أو معالجتها ؛ فلم يبق أمامه سوى التعايش المحزن مع تلك الحياة، ويتضح ذلك في تمثله بقول الشاعر في الخطبة نفسها :

شتـّانَ ما يومي على كـُورِها

ويـومُ حيانَ أخـــي جابرِ(٥٠)

وجابر هذا هو أخو حيان ، أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقا بعيدا بين يومه في سفره ، وهو على كور ناقته ، وبين يوم أخيه (حيان) في رفاهيته ؛ فإن الأول كثير العناء ، شديد الشقاء ، والثاني وافر النعيم ، وافر الراحة (٥١) .

هوامش البحث :

(١) . المفارقة القرآنية . دراسة في بنية الدلالة . محمد العبد : ١٥ .

(٢) . ينظر : اللغة الشعرية ، محمد كنوني : ٧١ .

(٣) . ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د . علي عشري زايد : ١٣٧ .

(٤) . ينظر :خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي : ١ / ٣١٥ .

(٥) . ينظر: المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة . : ١٨ .

(٥) . الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري : ٢٤٩ .

(٦) . المفارقة الشعرية . المتنبي انموذجا . (رسالة) ، سناء عباس : ٦ .

(٧) . العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني : ١ / ٣٠٤ .

(٨) . المثل السائر في أدب الكاتب ، ابن الأثير :٢ / ٥٧ .

(٩) . المفارقة في الشعر الجاهلي (رسالة) ، ملاذ ناطق : ١٠ .

(١٠) . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٣ / ٤٤٥ .

(١١) . ينظر: المصدر نفسه : المكان نفسه .

(١٢) . ينظر: مفتاح العلوم ، السكاكي : ١ / ١٦٣ .

(١٣) . ينظر: عن بناء القصيدة ، د . علي عشري زايد : ١٣٧ .

(١٤) . ينظر: المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة . محمد العبد : ١٥ . ١٦ .

(١٥) . ينظر: المصدر نفسه : ١٧ .

(١٦) . المفارقة (بحث) ، د. نبيلة ابراهيم : ١٣٣ . وينظر المصدر السابق : ٢٢ .

(١٧) . ينظر : المفارقة القرآنية : ٢٣ .

(١٨) . المفارقة :(بحث) ، د. نبيلة ابراهيم : ١٣٢

(١٩) . المفارقة القرآنية ، د . محمد العبد : ١٩ .

(٢٠) . ينظر : مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم : ٧٦ .

(٢١) . ينظر :الأسلوب والأسلوبية ، غراهام هاف : ١٣٧ . وينظر المفارقة وصفاتها : ٣١

(٢٢) . ينظر :المصدر نفسه : ٩٥ .

(٢٣) . ينظر :المصدر نفسه : ١٤٠ .

(٢٤) . لذة النص ، رولان بارت : ٢٥ .

(٢٥) . المفارقة (بحث) ، د. نبيلة ابراهيم : ١٣١ . ١٤١ . وينظر : المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة : ١٧ . ١٨ .

(٢٦) . ينظر :المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة . : ٢١ .

(٢٧) . المصدر نفسه : ٢٧ .

(٢٨) . النظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل :٢٠٠ . ٢٠١ .

(٢٩) . المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة . : ٣٦ .

(٣٠) . ينظر: شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي ، (بحث) ، الاستاذة نعيمة السعدية : مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، الجزائر العدد الأول ، السنة ٢٠٠٧ م ، (بدون صفحات) .

(٣١) . المصدر نفسه ، المكان نفسه .

(٣٢) . ينظر ::منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب ، عمار ساسي : ٢٢ . ٢٣ .

(٣٣) . ينظر: شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي : المكان نفسه .

(٣٤) . المفارقة في مقامات الحريري . مقاربة بنيوية . رسالة ماجستير : ١٦٥ .

(٣٥) . اللغة والتفسير والتواصل ، مصطفى ناصف : ١٤ .

(٣٦) . نهج البلاغة (محمد عبده) ، تحقيق : فاتن محمد خليل : ١ / ٣١ . ٣٢ .

انجذم : انقطع ، السواري : جمع سارية ، وهي العمود والدعامة ، النجر : الأصول ، أي اختلفت الأصول فكل يرجع إلى أصله يظنه مرجع حق ، وما هو من الحق بشيء ، انهارت : هوت وسقطت ، التنكر : التغير من حال إلى حال تكره ، أي تبدلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه ، المناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء للشرب ، الأظلاف : جمع ظلف ، وهو حافر الحيوان كالبعير والجواد وغيرهما .

(٣٧) المصدر نفسه (الهامش) : ١/ ٣٢ .

(٣٨) ـ ينظر: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا : ٢٠٣

(٣٩) ـ ينظر: المفارقة القرآنية . دراسة في البنية والدلالة . : ٢٨ .

(٤٠) . ينظر: المصدر نفسه : ٣٥ .

(٤١) ـ المصدر نفسه : المكان نفسه .

(٤٢) . ينظر نهج البلاغة (محمد عبده) : ١ / ٣١ . العلَم (بتحريك) : ما يهتدى به ، ويقصد به الشريعة الحقة ، المثلات (بفتح فضم) : العقوبات .

(٤٣) . المفارقة في الشعر الجاهلي (رسالة) : ٢٠ .

(٤٤) . المفارقة وصفاتها : ٦٣ .

(٤٥) . ينظر : نهج البلاغة (مصدر سابق) : ١ / ٣٣ ـ ٣٤ .

(٤٦) ـ نهج البلاغة (محمد عبده) ، مصدر سابق : ١ / ٣٣ـ ٣٤ .

(٤٧) ـ المصدر نفسه (الهامش) : ١ / ٣٤ .

(٤٨) . ينظر: المفارقة الشعرية . المتنبي انموذجا ـ (رسالة) ، سناء هادي عباس : ١٥ .

(٤٩) ـ ينظر : المصدر نفسه : ١٧ ـ ١٨ .

القرآن الكريم .

الأسلوب والأسلوبية ، غراهام هاف ، ترجمة كاظم سعد الدين ، دار آفـــاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥ .

البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعـــرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ .

الخطيئة والتكفير . من البنيوية إلى التشريحية ـ عبد الله الغذامي ، منشورات المركز العربي للإنماء ، بيروت لبنان ، ١٩٩٣ .

خزانة الأدب وغاية الأرب ، الجزء الأول ، ابن حجة الحموي ، تحقيق عصام شعيتو ، مكتبة الهلال ، ط١ ، بيروت ١٩٩١ .

دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، ١٩٧٢ .

شرح نهج البلاغة ، محمد عبده ، تحقيق فاتن محمد خليل ، منش،،،ورات مؤسسة التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ (د. ت) .

شـــرح نهـــج البلاغة ، ابـن أبي الحديد المعتزلي ، منشورات مؤسسة الأعلمي بيـروت ، لبنان ، ١٩٩٥ .

شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ، منشورات مكتبة فخراوي ، المنامة ، ٢٠٠٧.

العمدة في محاسن الشعر ونقده ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٤ .

عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الفروق في اللغة ، ابو هلال العسكري ، ط٤ ، دار آفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

فن الشعر ، ارسطو ، تحقيق ابراهيم حمادة ، القاهرة ، (د.ت) .

لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، ط٢ ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٤ .

لسانيات النص ـ مـدخل إلى انسجام النص ـ محمد خطابي ، منشورات المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

اللغة الشعرية ـ دراسة في شعر حميد سعيد ـ منشورات دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٧ .

اللغة والتفسير والتواصل ، مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ .

المثل السائر في أدب الكاتب ، ابن الأثير ، تحقيق احمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، ط٢ ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٣ .

المفارقة القرآنية . دراسة في الدلالة . محمد العبد ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤ .

المفارقة في شعر الرواد ، د . قيس حمزة الخفاجي ، دار الأرقم ، الحلة ، ٢٠٠٦ .

مفتاح العلوم ، السكاكي ، تعليق نعيم زرزور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ .

المفارقة وصفاتها ، سي ، دي ميويك ، ضمن كتاب (موسوعة المصطلح النقدي) ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون للنشر والترجمة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب ، عمار ساسي ، عمان الأردن ، ٢٠١١ .

النظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، ط١ ، منشورات دار الشروق الأدبي ، ١٩٩٨ .

الأبحاث والرسائل والأطاريح :

أولا : الأبحاث :